الانقلاب الخطر

﴿ وجمعية الاحمرين الدم والذهب ﴾

كل من نعرف من العثمانيين المخلصين ، والاجانب الخيرين المستقلين ، يعتقدون ان جمعية الاتحاد والترقي هي « جمعية الاحمرين » الدم والذهب ، أما كونها جمعية دم وثورة فهو صفتها الرسمية . ولما سقطت وزارتهم السعيدية الشقية جمعوا مؤتمرهم العام وزعموا انهم قرروا فيه التحول عن جمعية ثورة الى حزب سياسي . وكان هذا خداعا للامة الجاهلة المسكينة كخديعة ثورتهم الجديدة لقلب وزارة كامل باشا . وأما كونها جمعية ذهب، فلا يخفى على أحد ، فقد نهبوا أموال عبد الحميد خان وصادروا أكثر أغنياء الأمة وباعوا بوسنة وهرسك للنمسة . وطرابلس الغرب لايطالية، واتفقوا مع الجمعية الصهيونية على بيعها أراضي السلطان عبد الحميد الواسعة وعلى تمهيد الاسباب لامتلاكها البلاد المقدسة لاقامة ملك اسرائيل فيها ، ولهذا قال وزيرهم حقي باشا في خطبة علنية له : ان مستقبل هذه الدولة العثمانية لليهود . وأخذت وزارتها من ميزانية الدولة أكثر من ٤٠ مليون جنيه للحربية لم يظهر لها أثر يذكر .

لاجل هذا كله كنا نخشى ان تعود لها الكرة لامتلاك زمام الدولة فتكون هي الكرة الخاسرة ، وتقوم بذلك قيامة هذه الامة البائسة في هذه الاحوال الحرجة ، وزاد هذا الخوف في قلوبنا اخراج الجمعية لبطلها أنور بك من درنة الذي وضعته هنالك وجعلت في يده جميع الاعانات الحربية لتوهم العالم الاسلامي انها هي التي تدافع عن طرابلس وبرقة — وما هي الا البائسة لهما على الوجه الذي بيناه من قبل — وانما أخرجته وجاءت به الى الاستانة ليعينها باسمه وشهرته الخادعة على الثورة وسفك الدم . وقد وقع ما كنا نتوقع وهاك ما ورد علينا وعلى غيرنا من أصحاب الجرائد المصرية من الاستانة في ذلك

رسالة الينا خاصة من الاستانة :

كتب الينا احد الاصدقاء من عاصمة الملك ومركز الحوادث يقول :

« أكتب اليكم وأنا أشهد بعيني ، وأسمع باذني، كيف تكون مصارع الدول، وكيف تخط مناهج الامم ، وكيف يفتك العلم بالجهل، وتستولي النباهة على الخمول ،

وكيف تنشب القوة مخالبها في الضعف فتمزق أشلاءه ، وكيف يتضاءل المقصرون أمام السابقين ، ويتصاغر المهملون لصولة العاملين ، هذا وهؤلاء المتأخرون في كل شيء ، والمتقدمون الى شفير كل هلكة ، كأنهم لا يألمون لما يألم له الأحياء فتراهم في غمرتهم ساهين ، وعلى ما ألفوا من الحرص والطمع عاكفين ، وعلى هذا الذمام الحقير من السلطة متهالكين ، كأن الآلام تقع على غيرهم ، وكأن من يقصد بهذا الشر المستطير سواهم ، فكل ما حل بهم ، وما سيحل بمن يتصل بهم ، لم يظهر له ولا أثر ضعيف في أعمالهم وحالهم ، أو كما يقول شاعرهم التركي (عالم ينه أول عالم ، دوران ينه أول دوران) بل أشهد كيف يحفر الجاهل قبره بيده ، ويهدم قصره بفأسه ومعوله ، حتى لا يترك للعدو سبيلا الى العناء ، فلقد اختلس الطامعون فرصة اشتغال العسكر في المرابطة على الحدود واشتغال الوزارة بالجواب على مخطرة الدول ، فخرجوا من (زقاق شرف) مع رئيس من رؤسائهم المعروفين بعدد من الزعانف لا يبلغ المائتين ، أعيتهم الحيل في جمعهم ، ومنهم قسم عظيم من جهال مهاجري طرابلس الغرب ، أغروهم بالوقوف أمام الباب العالي يطلبون معاشهم الذي مضى وقت صرفه ، ولم تتمكن الوزارة من تدارك قرض لصرفه ، فوقفوا ووقف أولئك معهم يصيحون ويصخبون ، وجاء رئيسهم (أنور) فدخل على كامل باشا ورفاقه وطلب اليهم الاستعفاء بحجة أنهم ضعفوا أمام الاعداء وأطمعوهم ، وأشار اليهم بأن ممثلي الامة وراءه وهم الواقفون أمام الباب ، وكان ذلك بعد أن اغتيل ذلك القائد العظيم (ناظم باشا) وضابطان آخران ، فاضطرت الوزارة الى الاستعفاء وخرج (أنور) وهو يكاد يسامق الفلك غروراً ، وتوجه توا لسفارة ألمانية حيث مكث هناك برهة ثم صعد الى (سراي طولمه باغجه) حيث أخبر السلطان بمعنى وأشار عليه بنصب (محمود شوكت باشا) واعادة الوزارة الاتحادية ، فأجابه الى طلبه (طبعاً) وعاد فأعلن ذلك الى ممثلي الامة الواقفين في ساحة الباب العالي (؟) فهتفوا باسم الاتحاد والترقي ، وكان ذلك وقت الغروب أو بعيده .

« ثم قبض على علي كمال وأحيط بادارة جريدة (اقدام) وعلى محرر (يكي غزته) وأحيط بادارتها ، وبناظري المالية والداخلية ، وبكثير من رجال العلمية والملكية ، وفر كثيرون مما لم نقف بعد على تفصيله . وتوجه في تلك الليلة رجلان الى ادارة « صباح » حيث كان محررها فأمروه بكتابة ما يريدون ، وهددوه ان لم يفعل بالقتل ، فخرجت « صباح » ثاني يوم تمجد هذا العمل وتقدسه وتلبسه لباس الحق ،

وأن ثمة أن تخرج عن الطاعة وتنبذ طاعة حكومتها إذا عملت على غير مصلحتها .

وكان قد اصيب في تلك المظاهرة مرخص الاتحاديين (مصطفى نجيب) فهلك فأخرجوا جنازته في اليوم التالي بين التهليل والتكبير، والبكاء والعويل، والنائبين المطولة، والمراثي المعلنطحة ، وفي جملة من أبنه عبد العزيز شاويش، أبنه بالانكليزية (؟) . ثم مشوا به ومعه ألوف مؤلفة فيهم قسم عظيم من المحسالين (الشيالين) وقسم عظيم من شيوخ الطرق ، وآخر من رجال العلمية والطلبة ، والباقون من شبان المأمورين ، ومشت أمامه فرقة من العساكر ، وأخرى من النواحين يرثونه ويذكرون بلاءه في سبيل الوطن، وتعريضه بنفسه الى الموت لتخليص وطنه من الذين يريدون بيعه وتسليمه للاعداء ، ويتبا كون كأن المصاب بهذا المجاهد أعظم من المصاب بكل من مات في ميدان الحرب، وأعظم من الهزيمة التي أسقطت الجيش والعثمانية كلها من مرتبة الوجود

كل هذا على حين أن جنازة ناظم باشا كانت تمشي من طريق آخر وليس معها سوى بعض الجنبد وبعض ضباط الاجانب والمأمورين العسكريين والناس يتناجون فيما بينهم ولا يجسر أحد منهم أن ينبس ببنت شفة

جرت كل هذه المضحكات المبكيات ثم عادت الوزارة الجديدة لمباشرة العمل ، والقيام بما ملأت به ماضغيها من التحريض على الحرب وردّ مخطرة الدول، وراجعت الاساس الذي كانت الوزارة السابقة تريد بناء الجواب عليه فاذا هو عبارة عن تسليم ببعض الحدود الخارجية عن منطقة أدرنة وتسليم بعض الجزر ، والرجاء من الدول بالاكتفاء بهذا وصرف النظر عن مطالبهن ، فجعلت الوزارة اللاحقة تحاول تعديل جزء يسير من هذا لم تجد اليه سبيلا ، ولا عليه معينا ، فاضطرت فيما سمعنا الى تقريره بعينه وستقدم الجواب اليوم أو غداً (١)

أما صدى هذه الحركة في الجيش فالمسموع أنه صدًى سيئ ، وأن العسكر في جنانجه منقسمون وبعضهم يريد الزحف على الاستانة لتأديب القائمين بها ، وبعضهم يطالب بدم ناظم باشا ، وبعضهم فرّ من الجيش الى جيش البلغار . وأما الولايات فلم يرد منها الا التقبيح لهذا العمل ورفض الاعتراف بالوزارة الجديدة فيما سمعنا ، حتى قيل إن ولاية البصرة عازمة على طرد الاتراك من بلادها ، واعلان الاستقلال، وعلمت أن تلغرافاً ورد طالب بذلك يتضمن هذا أو نحوه وأن تلغرافات وردت من بيروت والقدس بالرفض أيضاً (٢) .

(١) المنار : قدمنا فاذا هي تطالب قسمة مدينة أدرنة بينها وبين البلغار !!

(٢) أخبار الولايات لم تصح

أما التهانئ التي وردت من بعض أقضية الاناضول ونشرتها الجرائد فهي خافتة الصوت ظاهر عليها أثر التصنيع وأول مادرج منها تلغراف من رئيس الحمالين في أزمير يهنئ الوزارة، ويذكر أن لديه عدداً كبيراً من عربات النقل مستعدة لخدمة الحكومة في الحرب التي تنوي استئنافها لتخليص الوطن (؟) وعلمت من ثقة أن أول عمل قررته الوزارة اعادة المجلس المنحل ودعوة المبعوثين لأنها لاتعتبر ذلك القسيخ قانونياً ولم ينشر في الجرائد تصريح بذلك . أما تلميحاً فقد نشر، والجرائد لاتذكر واحداً من هؤلاء المبعوثين باسم مبعوث سابق بل تطلق كلمة مبعوث إطلاقاً . وبالجملة فكل ماتراه ونسمعه هو من آيات الانحدار والانقراض . ولا ندري ماذا يكون شأن بلادنا وماذا يعمل زعماؤها وكيف السبيل الى النجاة » ؟ انتهى نصه

*

ونشر المؤيد في العدد الصادر أمس (يوم الاربعاء ٢٨ صفر سنة ١٣٣١ و ٥ فبراير سنة ٩١٣) رسالة قال انه تلقاها عن أوثق المصادر جاء فيها مانصه :

« بينما كانت الوزارة الكاملية مجتمعة في الباب العالي بعد ظهر أول أمس (أي يوم الخميس ٢٣ يناير) للمداولة في الجواب المزمع ارساله الى سفراء الدول بشأن مسألة أدرنة والجزر اذ أقبل نحو الباب العالي زمرة من الاتحاديين وأتباعهم يحملون أعلام الجمعية — وكانت الساعة الثالثة زوالية — وفي مقدمة الجميع القائمقام أنور بك والمير الاي جمال بك وهو والي بغداد السابق والبكباشي اسماعيل حقي بك وهو والي بنغازي السابق وعمر ناجي بك مبعوث قره حصار السابق ومتاز (المتهم بقتل المرحوم زكي بك) ومحسين بك صاحب جريدة سلاح ومصطفى نجيب (الذي لقي حتفه في هذه الفتنة) وبعض المنتمين للهلال الاحمر الهندي والهلال الاحمر المصري من المتودد والمصريين (وهؤلاء انضموا الى المتظاهرين في الآخر) وقسم كبير من المشايخ صنائع الاتحاديين يهللون ويكبرون

« ثم دخل أنور بك ورفقاؤه المذكورون الى رحبة الصدارة وحاولوا الولوج الى الغرفة التي يجتمع فيها الوكلاء فعارضهم ناظر بك ياور الصدر الاعظم وتوفيق بك ياور ناظم باشا وجلال أفندي الوليس الملكي الذي يعني بمعية سماحة جمال أفندي شيخ الاسلام . وكان هؤلاء الحجاب حقين بمنع هؤلاء الجماعة من الدخول على مجلس الوكلاء في ساعة انعقاده لانهم مأمورون بذلك قانوناً وهم قاموا بوظيفتهم التي ينبغي أن تكون محترمة عند الجميع

« ولكن أنور بك وجماعته هجموا بالقوة وقتلوا برصاص المسدس المرحوم ناظر

بك ياور الصدارة فأصيب في جنبه وهجموا على الحاجبين الآخرين بالمدى والخناجر التي كانوا خبأوها تحت ثيابهم ، وكان الحاجبان يدافعان عن حياتهما وعن باب مجلس الوكلاء بمدسين كانا معهما

أما ناظم باشا فقد أقلقه انطلاق الرصاص داخل الباب العالي وعلى باب مجلس الوكلاء وكذلك قلق سائر الوزراء فخرج ناظم باشا من الباب وقبل أن يسمعوا كلامه أو يفهم مرادهم أطلق عليه مصطفى نجيب رصاصة ـ وقيل بل الذي بدأ باطلاق الرصاص عليه هو أنور بك ونسب ذلك الى مصطفى نجيب لانه مات فيما بعد ـ ثم انهمر الرصاص على ناظر الحربية من الآخرين فأصيب برصاصة في صدغه وأخرى تحت عينه اليسرى ومات فأقبلوا على جثته يطعنونها بالخناجر والمدى

«وكان الياور توفيق بك الى ذلك الحين يطلق الرصاص في الفضاء ارهابا لهؤلاء الجماعة فلما رأى جثة وزير الحربية ملقاة على الارض ملطخة بالدماء لم يملك عواطفه ـ مع ما أصابه من الجروح ـ فقتل مصطفى نجيب بالرصاص

« وبعد قتل ناظم باشا تحول رصاص القوم على توفيق بك وبوليس شيخ الاسلام وعلى اثنين من خدمة الباب العالي فقتلوا جميعا

« وبعد هذه المعركة دخل أنور بك وجمال بك على الصدر الاعظم وطلب منه الاول أن يستقيل فأجابه الى ما أراد وكتب كتاب الاستقالة وسلمه الى أنور بك فخرج هذا بها الى جماعته الذين ينتظرونه في الخارج (أمام الباب العالي) وكان عددهم الى ثلاث الساعة لم يزد على مائة شخص فبشرهم باستقالة كامل باشا وقال لهم لا تفارقوا باب الباب العالي حتى أعود اليكم من القصر السلطاني بتعيين وزارة أخرى

وذهب الى سراي طوله بغجه راكبا أوتوموبيلا فقابل جلالة السلطان وأخذ منه الارادة السنية في الحال بتعيين محمود شوكت باشا صدرا أعظم وطلعت بك وكيلا لنظارة الداخلية الى أن تتألف الوزارة الجديدة . وكان هذان ينتظران مع آخرين عند سراي طوله بغجه . ثم صحب أنور بك محمود شوكت باشا وطلعت بك وجاء بهما الى الباب العالي فاستقبلهم الواقفون هناك بالتصفيق والهتاف وتلي الفرمان السلطاني على المتجمهرين . وبعد ذلك خطب محمود شوكت باشا فقال :

« اني قبلت هذا المنصب وأنا عالم بحرج الموقف . واني واثق بالله ان يوفقني الى خدمة الوطن »

«ثم طلب من المتظاهرين أن يتفرقوا فذهبوا من الباب العالي الى حزب الحرية .

والائتلاف فنهوه وأخذوا أوراقه وبقوه وحده إلى خروج كل تلامذته

« ومن الغريب في هذا الحادث أن الجنود الذين من وظيفتهم أن يوجدوا في الباب العالي أرادوا أن يمنعوا أنور بك وجماعته من الدخول فسألهم أنور بك : ألستم تعرفوني ؟ قالوا بلى . قال ألستم تعلمون أني لا أعصى بلى . قال اذن فافسحوا لي الطريق فاني ما جئت الا لانقاذ الوطن وعقولكم لا تدرك مثل هذه الامور (نعم ان عقولهم لا تدرك مثل هذه الامور ولكن الذي كان يجب عليهم أن يدركوه هو اتباع أوامر ضباطهم فلم يفعلوا) وهكذا تركوا رجل الفتنة يفعلون ما سبقت الاشارة اليه

«وعند دخول أنور بك كان منتهزا الى أنه ربما استدعيت الجنود بواسطة أسلاك التلفون والتلغراف فقطعهم كلها .

«ومما انتبه الاتحاديون له قبل وقوع الحادث أنهم أمروا الضباط المنتسبين الى جمعيتهم فأخذوا الالايات الحميدية الى الجسر المجيد الذي بين السركجي وغلطه فقطعوا الصلة بين شطري العاصمة

«وكانوا قد طبعوا من قبل منشوراً يقررون به الى الامة بما آلموه من شورها بعواطف الاستياء من التنازل عن بعض أدرنة والجزر مع أنه لو كشف الله للناس عن قلوب بعضهم في هذه الازمة لعلموا من هو المستاء أكثر ومن هو الخاص أكثر ومن الذي يتخذ المواطن ذريعة لاغراضه .

« وأغرب ما في الامر أن هذا المنشور الذي طبع من قبل جاء فيه أن الوزارة استقالت ، مع أنه كتب وطبع قبل حدوث كل شيء وقبل أن يخطر على بال الوزارة أن تستقيل بهذه الصورة . ولكنها فتنة دبرت بليل

«في اليوم الثاني كانت قد أفضلت جريدة اقدام وجريدة عالمدار وجريدة بي غزته وقام أمامها من رجال البوليس وقبل ذلك — أي في ليل سأتي النهض في معلم طوقاتليان على علي كمال بك رئيس تحرير اقدام واسماعيل حقي بك مبعوث كوملجنة السابق ونور الدين بك المدير المسؤول لجريدة اقدام والدكتور رضا نور بك والدكتور رضا توفيق بك وغيرهم فسجنوا جميعاً

«أما رشيد بك ناظر الداخلية السابق وعبدالرحمن بك ناظر المالية السابق فقد سجنا في دائرة (برنجي قول أوردو) ولا يزال البحث جاريا عن المعارضين

« والاعتقاد سائد هنا (أي في الآستانة) أنه لولا طيب قلب ناظم باشا ورشيد بك لما حصل شيء من كل هذه الفتنة

« ويقال انه مما قرر أثناء ترتيب الفتنة أن يعين نسيم ماسلياح اليهودي وكيل الجمعية الصهيونية ناظراً للتجارة بدلا من جلال بك ويرسل جلال بك والياً على أزمير . ومحمود بك يمين وزيراً للمالية

أما بازاريا الذي عين ناظراً للنافعة (الأشغال) فهو فلاخي وكان رئيساً لتحرير جون ترك التي تصدر بأموال اليهود الصهيونيين اه

ونشرت جريدة الاهرام تحت هذا العنوان (في عدد ١٠٦١٨) رسالة من الآستانة هذا نصها :

الانقلاب العثماني

مقدماته — أسبابه — نتائجه

برح مراسلكم الخصوصي فروق الى مكان أجهله فسألني قبل سفره مراسلة الاهرام في مدة غيابه نظراً لما بيننا من صلات المحبة والوداد فوعدته خيراً . ولقد كنت أود لو ان لي قلماً كقلمه يصف لكم الحوادث والاشياء . الا ان مالا يدرك كله لا يترك جله . فانا أصف لكم ما رأيناه ومر امامنا نظرنا ببساطة العامي لعلمي ان الحقيقة جميلة بنفسها لاتحتاج الى بلاغة انشاء . ففي جمالها مايغني عن البلاغة

اذا كان في العالم كله شعب يصح به قول الشاعر

وصرت اذا أصابتني سهام تكسرت النصال على النصال

فهذا الشعب هو ولا شك الشعب العثماني الساكت الناقم على الضيم المغلوب على أمره . فلقد أخذت النوائب ترشقه بسهامها منذ عامين أو أكثر فقتلت أولاده في حروب طرابلس الغرب والرومللي ورملت نساءه ويتمت أطفاله وخربت ديارته وهدمت بيوته وأحرقت مزارعه وأخرجت الحكم من يده الى يد عدوه . فبلاد الرومللي اليوم ديار خربة لاتصلح لشيء يحرق العدو فيها ديار المسلمين ويحرق المسلمون فيها قرى أعدائهم . وهكذا دواليك .

منذ أربعة أعوام قلب الجيش حكم عبد الحميد . وأنشأوا حكومة دستورية . ثم قام الجيش فقلب تلك الحكومة . ثم قام رجال تلك الحكومة فقلبوا بعض تدابير ذلك الجيش . ثم عاد ضباط الجيش الكرد الرابعة منذ شهور وقلبوا ذلك الحكم . فهم الاتحاديون اليوم وقلبوا حكومة ذلك الجيش وهي خامس ثورة حدثت في اربعة أعوام في سبيل القبض على الحكومة ليس غير